أفنان وأفياء

بحوث ومقالات
إسلامية وأدبية ولغوية ونقدية

تأليف
الدكتور «محمد سمير» نجيب اللبدي

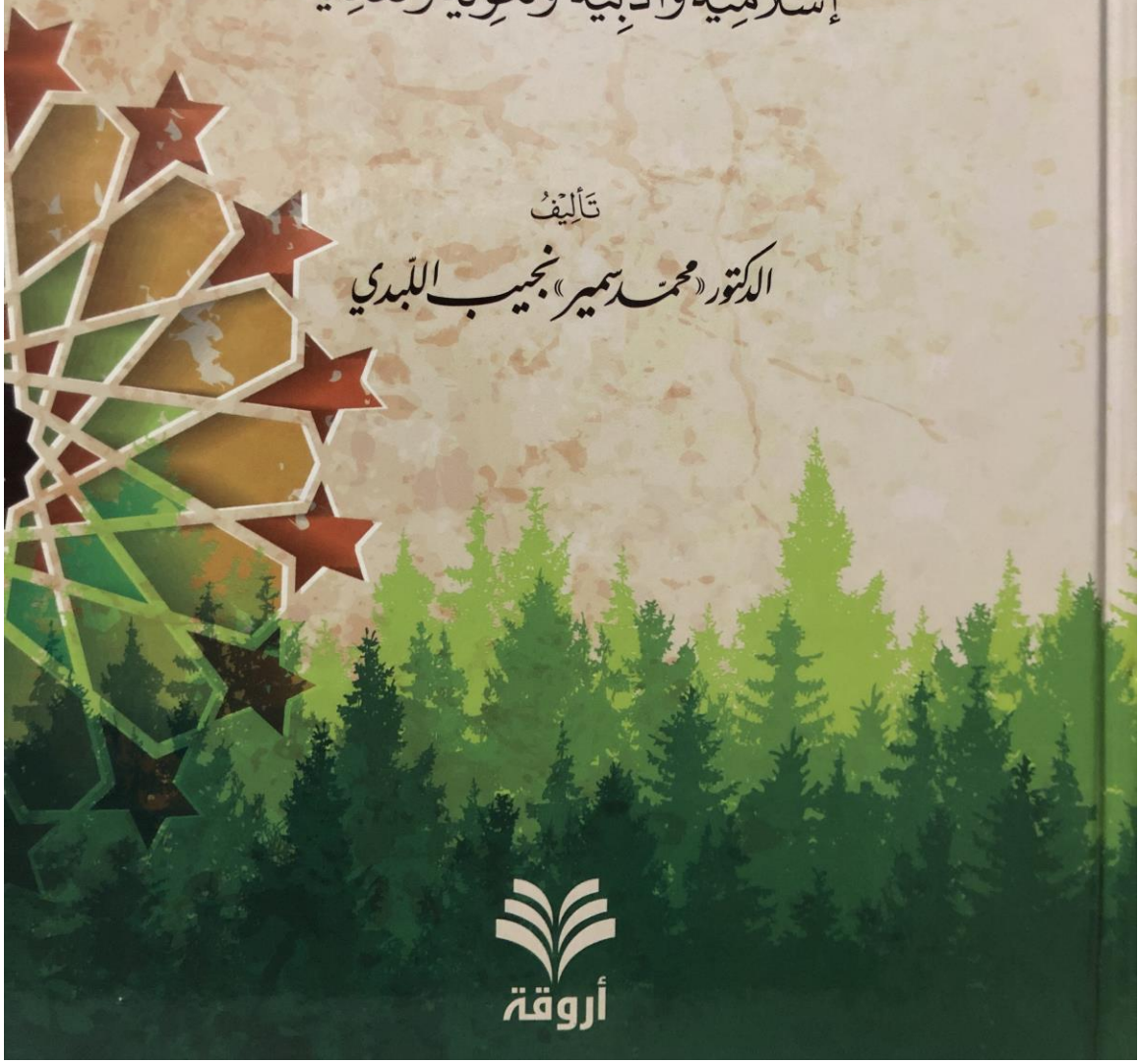

أروقة

□ أفنان وأفياء بحوث ومقالات إسلامية وأدبية ولغوية ونقدية
تأليف : الدكتور «محمّد سمير» نجيب اللّبدي
الطبعة الأولى : ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م
جميع الحقوق محفوظة باتفاق وعقد ©
قياس القطع : ١٧ × ٢٤
الرقم المعياري الدولي : ٩-٠١٨-١٠-٩٩٢٣-٩٧٨ : ISBN
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (٣٤٩٧ / ٧ / ٢٠١٨)

أروقة للدراسات والنشر
هاتف وفاكس : ٤٦٤٦١٦٣ (٠٠٩٦٢٦)
ص.ب : ١٩١٦٣ عمّان ١١١٩٦ الأردن
البريد الإلكتروني : info@arwiqa.net
الموقع الإلكتروني : www.arwiqa.net

الدّراسات المنشورة لا تعبّر بالضرُورة عن وجهة نظر الناشر

جميع الحقوق محفوظة. لا يُسمَح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال أو رفعه على شبكة الإنترنت دون إذن خطي سابق من الناشر. حقوق الملكية الفكرية هي حقوق خاصّة شرعًا وقانونًا، وطبقًا لقرار مَجمع الفقه الإسلامي في دورته الخامسة فإنّ حقوق التأليف والاختراع أو الابتكار مَصُونة شرعًا، ولأصحابها حقّ التصرُّف فيها، فلا يجوز الاعتداء عليها.

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted in any form or by any means without written permission from the publisher.

مقدّمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين

وبعدُ:

فهذه مجموعةٌ من المقالات والبحوث المتنوِّعة في موضوعاتها بين الإسلامية واللُّغوية والنحْوية والأدبية والتربوية، كنتُ قد كتبتُها وسطَّرْتُها في أثناء رحلتي بين الدرس والتدريس، والتعلُّم والتعليم، ونشرتُها في الصُّحُف العربية المختلفة، والمجلات الأدبيَّة المُحَكَّمَة وغير المُحَكَّمة، وعزَّ عليَّ أن تَظَلَّ طوالَ هذه المدة حبيسةَ الهجرِ والغياب، فرأيت أنْ أُلَمْلِمَهَا وأجمعها في كتابٍ يحتويها ويحميها ويحفظُها من الضياع والتفلُّت من أيدي الجيل الناشِئ بين الأبناء، الذي لا تعنيه الوَرَقِيَّات، لكتاب العامة؛ لهُيامِه بالكمبيوتر ومشتقَّاتِه.

لهذا آثرت جَمْعَ هذه المقالات والمحاضرات في كتابٍ، وجَمْع شتاتها، والتأليفِ بين موضوعها؛ ليفيدَ منها مَنْ تَعْنِيهِ هذه الموضوعات في كتابة الأبحاث التي يقدمون بها، ورفْدِها بإضافاتٍ علمية في المحاضرات والدروس في كلِّ مستوياتها؛ مُسْعِفةً كانت أو شافية.

وآملُ أن يَهَبَ لي المطَّلِعُون عليها، والقارئون لها شيئاً من الدُّعاء ينفعني في أُخْرَاي، كما انتفعتُ أنا بها في دُنْيَايَ، والله الموفِّق والهادي إلى سواء السبيل.

الدكتور «محمد سمير» نجيب اللّبدي

الموجّه التربويُّ في دولة الكويت سابقاً

الأستاذ المنتدب للتّدريس في جامعة الكويت

وأستاذ اللغة العربية في جامعة الإسراء

وجامعة الشرق الأوسط في عَمَّان

في حفل تكريم الشاعر الكبير الدكتور رجا سمرين
الذي أقامته رابطة الكتّاب(١)

كم هي مهمَّةٌ صعبة!!

وكم هي مهمة سهلة!!

هي مهمة صعبة سهلة أن يتحدث الإنسانُ في مقام التكريم عن مبدِعٍ كبير، وأديب مرموق يصعب أن يتحدث مثلي عن مثله؛ لأنني بذلك كمَن يتحدث عن نفسه، وما أصعب أن يتحدث الإنسانُ عن نفسه في مقام كهذا.

ويسهلها أنني أتحدث عن شخصية واضحة، عَرَفْتُ صاحبها عن كثبٍ، وخبرته عن قرب؛ فلا أنا أجامله، ولا هو بحاجةٍ إلى هذه المجاملة، والحديث عنه ـ إن شاء الله ـ صادقٌ شفاف لن اصطنعه مجاملة، ولن أزينة محاباة، وإنما أقوله لإيماني بما أقول، ولمعرفتي القوية بمن هو غني عن التعريف الذي تخطاه منذ عشرات السنين؛ وهو الشاعر الكبير الدكتور رجا سمرين، أطال الله في عمره وأبقاه نعماً خالداً في عالم الشعر والشعراء.

أيها السادة:

إن الحديث عن ضيفنا المكرَّم حديثٌ ذو شجون، أحار في الطرف الذي أبدأ الحديث عنه، هل أتحدث عنه كزميل دراسة، أم زميل عمل في أكثر من مكان، أم زميل كلمة ودرب؟

---

(١) أُلْقِيَت في رابطة الكُتَّاب العرب في تكريم الدكتور رجا سمرين.

كل هذه الجوانب ربطتني به ووثقت بيننا عُرَى الصداقة والمحبة بيننا؛ وهو ما يُسَهِّلُ الأمر عليَّ ويجعلني أتكلم عنه كلام الواثق لأقول:

نجتمع الآن لتكريمه أديباً جديراً بالتكريم؛ وهو الأمر الذي كان يجب أن يكون منذ أمد طويل، ولكنه الآن قد كان فآمل أن نوفيه حقه بما يستحقه ويستأهله.

إن شاعرنا الكبير لا يقبل الاختصار إلا من باب الإيجاز البلاغي؛ وإلا فهو حقيقٌ بالتفصيل في شخصيته، قمينٌ بالحديث عن شعره ورحلة إبداعه؛ فهو قبل أن يكون شاعراً كان مربياً للأجيال، ومدرساً ناجحاً للغة العربية في شتى مراحلها المدرسية والجامعية وهو مؤرخ للأدب العربي وناقد لصنّاعه، وكاتب لمقالاته وأبحاثه، وله كتب مرجعية منتشرة في العالم العربي، يتوِّجُهَا كلها أنه شاعرٌ فذٌّ مبدع؛ ابتدأت قصته مع الشعر عام ١٩٤٣م وهو فتىً غضٌّ آنذاك؛ حيث توافرت له الموهبة الشعرية التي جعلت منه ـ فيما بعد ـ شاعراً موالياً للشعر، محباً له، مجيداً لصنع أعاريضه وأضربه، وهو الذي يصفه بالفتنة والطرب؛ حيث يقول [من الخفيف]:

قلتُ يـا رُوحُ إنما الشِّـعْرُ دُنيا ... مـن شـعورٍ وفتنـةٍ وطـروبِ
إنـه عالـمٌ عجيـبٌ رحيـبٌ ... فـي بَهـاه يَحـارُ عقـلُ اللبيبِ

وتجتمع للدكتور رجا، بالإضافة إلى موهبته التي قدمته إلى الساحة الأدبية شاعرا مرموقا في مصاف الشعراء والكبار، كونه إنساناً وطنيّاً بارزاً كان من المواكبين للنضال الفلسطيني، والمهتمين بقضية بلاده التي ألهمته الشعر الكبير الذي أسهم في تمجيدها، ورفدها بالروح الوطنية العالية.

أضف إلى ذلك أنه خارج إطاره الفلسطيني الأردني عروبي الهوى، يحب الوطن الواسع، عاش في مصر وحياها، وعاش في الكويت وحياها، وعاش في السعودية وغنى فيها أعذب ألحانه، وحيا الجزائر في أوراسها وبطولة أبنائها، فكان هذا الثمن العربي زاداً ثرّاً أغنى شاعريته بالكثير من شعره الجميل، وهو ـ بالإضافة إلى ذلك ـ صاحب شخصية متميزة بالجرأة والثقافة المتنوعة والمعرفة الحاضرة، كما أنه خفيف الظل مرح في طبعه

قريب إلى النفس، وله حضوره المميز في جلساته ومع جلسائه، وعامل آخر لا ينبغي لنا أن ننساه ونحن نعدد العوامل التي جعلته شاعراً مسموعاً في المحافل والمؤتمرات ألا وهو أسرته الكريمة بأصولها وفروعها وفروع فروعها والتي دفعته إلى أن يصنع لها شاعراً عاطفياً نُرَدِّدُ شعره بكل إعجاب وتقدير، وهو الجانب المخصَّص لي بالحديث عنه في هذه الليلة.

لا إخالني أيها السادة قد خرجت في حديثي عنه، إلا بمقدار ما يقتضيه التقديم الذي كان لا بد منه.

إن شاعرنا قد طرق كل أنواع الشعر وأغراضه ولم يغيب واحداً منها؛ قال في الرثاء والمديح والعتاب والوطن والغزل والنسيب، وله في كل ذلك شعر جزل تفوَّق فيه وأبدع، وكذلك لم يخل شعره عن أسرته من الحنين والفرح والعاطفة المؤججة، مهنئاً بنجاحٍ أو قدوم أو ولادة، يعبِّر فيه عن سروره بأبنائه وأحفاده.

وللشاعر عن الشعر الأسري كتاب تحت عنوان الأسرة في الشعر العربي المعاصر قال فيما قال فيه: إن شعر الأسرة لم يكن معروفاً كثيراً لدى الشعراء الأقربين، وما يعرف بكثرة إلا في الشعر المعاصر، وهذا الكلام صحيح؛ وهو ما نلمسه في شعر شاعرنا الذي يخصص مساحة من مناجاة الزوجة وملاعبة الأولاد، وتدليل الكَرِيمَات، وهدهدة الأحفاد، ورثاء الأعزاء.

أما عن الزوجة؛ وهي ربة الأسرة وراعيتها، وملهِمَة الشاعر وموحيته؛ فقد خصَّها بكثير من المناجاة والملاحظة والحنان والأخت؛ أم نزار؛ والحق أقول: زوجةٌ فاضلة كريمة تستحق الحب من زوجها، فهي أم أولاده ورفيقة دربه وأيامه؛ ففي قصيدة تحت عنوان (كل عام وأنت بخير) بعث بها إليها؛ وهو في مدينة الرياض يعاني من الغربة والاغتراب، حيث يقول [من الخفيف]:

أقبــل العيدُ يــا شـقيقةَ روحي ... ينشُرُ الطيبَ والسَّـنَا في الأنامِ
غير أني ما شمت في العيد نوراً ... يُوقِظُ النفس من دياجي الكلامِ

إنني ما نأيتُ عنك وحيداً أجرعُ الحزنَ في كئوس المُدَامِ

إلى أن يقول:

إن عيديَ يا ربَّةَ الطهر لما تحتسِي الصفوَ في كئوسِ المدامِ
حين ألقاكِ والصغارَ ببيتي في ظلالٍ من الصفا والهُيام
كل عيدٍ وأنتِ يا رُوحَ رُوحِي في هناءٍ وعزةٍ وسلام

ويردف الشاعر هذه القصيدة بأخرى تحت عنوان (رؤيا) يسرِّبُ لها فيها شوقه وحنينه؛ حيث يبدؤها بقوله [من الوافر]:

تراءى في المنامِ لي الحبيبُ يكادُ لفَرْطِ رقَّتِهِ يَذُوبُ
وقال معاتِباً والدمعُ يهْمِي وفي إشراقِ طلعتِه شُحُوبُ

ثم يقول فيها:

فقلتُ وحقِّ مَنْ بَرَأَ البرايا ومَنْ يدري بما تحوي القلوبُ
بأن العيشَ دونكِ لا يساوي نَقِيراً أيها الروحُ الحبيبُ
فكم عانَيْتُ بعدَكِ من سُهَادٍ يسامرني به الدمعُ الصَّبِيبُ

إلى أن يمنى نفسه بلقاء قريب فيقول:

فهل يا صِنْوَ روحي من لقاءٍ يذوب بحرِّه اليأس الرهيبُ؟
فيرجع قلبي المضني مُضِيئاً وتعمره المسرة والوجيبُ؟

وهكذا وفي كثير من القصائد يفرِّغ الشاعر مكنونه الشعري وعواطفه الجياشة فيمن يصفها بأنها شقيقة روحه، وأنه يجرع الحزن على فراقها، وأنه لا يجد للعيش بدونها أي معنى وهي بالنسبة له ربة الطهر ومُدام الحياة.

ولأولاد الشاعر نصيبٌ كبير من شعره؛ فهو يشاركهم في مناسباتهم، في قصائد تقطر عاطفة ومكاناً وحباً؛ فلكل مناسبة قصيدة ولكل موقف مثلها، عند قدومهم إلى الدنيا نرى الشاعر يتهلل لهذا القدوم فيعبر عنه بقصيدة أو أكثر، وفي أعياد ميلادهم

يهاديهم القصائد الجميلة التي ينفث في صورها ومعانيها وألفاظها كل عاطفة وفرحة؛ فالقصيدة حاضرة والمعاني متتالية، فهم إذا تجمعوا كانت القصيدة، وإذا تزوجوا كانت القصيدة، وإذا نجحوا كانت القصيدة وإذا قدموا كانت القصيدة.

وإذا أنجبوا تقدمت القصيدة معبِّرة بكل ذلك عن فرح البيت بالأحفاد الجدد، وفي أعياد الميلاد لهؤلاء الأحفاد نجد فرحة الشاعر بهم لا تُحَدُّ، ولا تُوصَفُ، فيلجأ إلى الشعر ليعبِّر عما في ذاته من سرور.

وها هو نزار وَلَدُه الأكبر، وقد مرَّ عامٌ على ميلاده فيه يقول الأب الفرح [مجزوء الكامل]:

أنــزارُ يــا نـغــمَ الهِــزَارِ ونفحــةُ الفضــلِ الرطيبِ
ومســرَّةُ القلــبِ الحزيـنِ وواحــةُ القلــبِ الجديــبِ
يــا كوكبًا قــد لاح في ليلى المخضَّــبِ بـالكـــرُوبِ
قد شــعَّ نُورُكَ حيــن جئتَ بليلــىَ العَكِــرِ الرهيـــبِ
فأشــاعَ في نفســي السـلام فمرحبــاً بــك يــا حبيبــي

ويمضي الشاعر في قصيدته مذكِّراً ولده بما في هذا العالم من ظلمٍ وأحقاد، وما فيه من سيطرةٍ للقوى على الضعيف، ويطلب منه في كبره أن يكون سيفاً على الطغاة.

وكعادته في خواتيم كل قصائده لأولاده نراه يوجِّهُهُ إلى قضية بلاده التي عانت، وتعاني من القهر والقدر، ويحثُّه على حبها، والتضحية من أجلها، حيث يقول [مجزوء الكامل]:

أَمَّــا بــلادُك يــا نــزارُ فــإن قصَّتهــا عجيبــهْ
هي قصةُ الحقِّ الذي قد أَسْــمَع الدنيا نحيبَهْ

إلى أن يقول:

فادعُ الرِّفاقَ إذا كبرتَ ليجعلوا منها الحبيبهْ

وبمثل هذا الفرح وبمثل هذه المشاعر يخاطب ولده كامل في عيد ميلاده الثالث؛ حيث يقول [الكامل]:

يـا كامـلَ الأوصاف يـا ولدي ... يـا قطعـةً قُـدَّت مِـنَ الكَبِـدِ
يـا عطرَ زَهْـرِ الروضِ يَـا قَمَراً ... يـا بَـوْحَ طيـرٍ عاشـقٍ غَـرِدِ
عينـاك مصباحـانِ قـد سـطعا ... في ليلـي الحالِـكِ والسـرمدِ

ويختم قصيدته هذه بدعائه له بأن يجده رجلاً كبير الجاه، وكثير الولد مع تذكيره؛ كعادته بوطنه، والعمل على تحريره، فيقول [السريع]:

إنـي لأرجـو أن أراكِ غـداً ... رجـلاً كثيـرَ المـال والولـدِ
تسـمو على الأقرانِ في شرفٍ ... تسـير نحـو المجـدِ فـي صَيَدِ
تُعْطِـى بـلادَك من جهـادِك ما ... يُعْلِـى مكانتَهـا إلـى الأبـد

وبصوت الفرح الغامر يهنئ ابنه زياد في زواجه؛ فيقول في قصيدة بعنوان (الزفاف الميمون) [الرمل]:

ردِّدِ الألحـانَ فالسـعدُ دَنَـا ... واملأِ الآفـاقَ عَزْمـاً وغِنَـا
واتـرع الأقـداحَ راحاً واسـقِنَا ... فهْـي في ذا اليوم قـد حَلَّت لنا

وباحتراس الشاعر الذكي الفطن يقول:

لسـت أعني خمرةَ الكرم التي ... تُذْهِـبُ العقـلَ وتُودِى بالسَّـنَا
إنمـا الخمـر التـي أَنْشُـدُها ... خمـرةَ السـعدِ وأقـداحَ الهنـا

ويلتفت إلى عروس زياد، وقد أصبحت من الأسرة السعيدة؛ فيقول مخاطباً إياها:

يـا عَروس السـعد كُوني نجمةً ... في ظـلام الليـل تُهْدِيهِ السَّـنَا
واجعلي الإخلاصَ والحبَّ له ... فـي دروبِ العيش دومـاً دَيْدَنَا
إنـه الكنـزُ الـذي لا ينتهـي ... كلمـا أنفقتِـه ازدادَ غِنَـى

ويأتي الحديث الموجع في شعر شاعرنا عن ولده الشهيد محمد الذي استشهد في معركة مواجهة مع اليهود في لبنان، وهو في الخامسة والعشرين من عمره.

وإنها لمفارقة عجيبة أن ينشئ الشاعر قصيدته (هكذا الحياة) مخاطباً فيها ولده الشهيد متنبئاً بالمعاناة التي تنتظره في حياته، مستوحياً ذلك من خلال نظراته البريئة التي نظر بها إلى والده فقال [الخفيف]:

ستأتي من الحياة كثيراً ... يا صغيري فكُن شجاعاً صبوراً
هذه النظرةُ البريئةُ في عينيكَ ... مَلأى سعادةً وحُبُورَا
سوف تغدو في مقابل العمر ناراً ... تحرق القُبْحَ في الدنا والشرورَا
فوصاتي إليك إذا ما رأيتَ ... الناس في هذه الحياةِ نمورَا
أن تُرى كالهِزَبْرِ لا يقْبَلُ الضيم ... ويستقبلُ العدوَّ فخورَا

ولقد كان ما تنبأ به الوالد واستوحاه؛ حيث لم يهنأ محمد في حياته وسقط شهيداً؛ حيث كان شجاعاً كالهزير، صبوراً بكل معنى الصبر، واستقبل المعتدين بكل فخرٍ وبسالة وبطولة، فرحاً بالشهادة في سبيل الله، ورثاه والده في شعر كثير أترك الحديث عنه لمن سيتحدث عن الرثاء في شعر الدكتور رجا، واكتفي في هذا المقام بترديد ما قاله حزناً على ولده؛ حيث قال [المجتث]:

حُزني عليك شديدُ ... مؤبَّدٌ لا يَبِيدُ
مخلّدٌ كخلودٍ ... منحتَه يا مُبِيدُ
ذكراك نفحةُ عطرٍ ... تستافُ منها الورودُ
روحي لنقدِك ثَكْلَى ... والقلبُ منِّي عَمِيدُ

وتواصل الحديث عن الأسرة في شعر أبي نزار الذي لم يكن فيه ليغفل نصيب كريماته منه وهو كبير؛ حيث قال فيهن قصائد حلوة تؤكِّد لنا العلاقة الأبوية الخالدة للإنسان مع قطع كبده وفلذاته.

وهو بالرغم من أنه أنشأ في كل واحدة قصائد خاصة كنت أود أن أعرضها وأبرزها محللة تحليلاً أدبياً دقيقاً منعني عنه ضيق الوقت الذي يمكن أن يكون قد خُصِّصَ لي.

ولكن أبا نزار قد أتى على ذكرهِنَّ في قصيدة جميلة ذكرهن فيها بلا استثناء تحت عنوان (ثلاث نجيمات)؛ وهن جميلة، وليلى، وفاطمة حفظهن الله وبارك فيهنَّ وجعلهن لوالديهن أنساً وفرحاً وقرَّةَ عين؛ قال في القصيدة [الطويل]:

ثـلاث نُجَيْمَاتٍ أضـأنَ حياتي ... وألهَمْنَ شعري أعذبَ النَّغَماتِ
سـطعنَ بآفاقي فأمستْ عوالماً ... مضمَّخـةً بالحـبِّ والصَّبَواتِ
وحبَّبْنَنِي في العيش حتى عَشِقْتُه ... لأبقى لهـنَ الدِّرْعَ في الأزماتِ
وأشـعرنني أن الحيـاة جميلـةٌ ... على ما بها من شِـقْوَةٍ وشـكاةِ

ثم يقول:

بناتي ورودٌ ناضراتٌ تَضَوَّعَت ... بأزكى أريـجٍ عاطـرِ النفحاتِ
على العزِّ قد نُشِّئْنَ في ظل والدٍ ... ووالـدةٍ لـم يُوصَمَـا بهِنـاتِ

ويمضي الشاعر في تعداد أوصافهن واحدة واحدة؛ فهذه ابنته الكبرى جميلة، يقول عنها [الطويل]:

جميلـةُ كبراهُـنَّ لحـنٌ موقَّـعٌ ... وروضٌ ظليـلٌ فاتـنُ الجنبات
تُشِـعُّ بهـاءً وابتهاجـاً وفطنـةً ... وبـراً وتَحْنَانـاً وحسـنَ أنـاةِ
هي الأمُّ من بعـد أمي وَجَدْتُها ... تقودُ إلـى دربِ العُلا خطواتي

وعن ليلى الابنة الوسطى يقول [الطويل]:

وليلى ابنَتِي الوُسْطى رزانٌ وضيئةٌ ... ملاكٌ طَهورٌ سـاحِرُ القَسَـماتِ
عَرُوبٌ حَصانٌ لا يُضَامُ عشيرها ... خفيفـةُ ظـلٍّ حلـوة النظـرات
لقد حَسُنَت خلقاً ورقت شمائلاً ... وفاقَتْ حيـاءً سـائر الخفِراتِ

وعن فاطمة الابنة الصغرى يقول:

وفاطمةُ الصغـرى زُهَيْرَاء بضَّةٌ غزالٌ جميـلٌ خالِـبُ اللفتات
لها طلة تسْـبِي العقولَ بحُسْنِها يُزَيِّنُهـا فـرعٌ كليـلُ عُداتـي
إذا أقبلت نحوي ببسـمةِ ثغرها رأيـتُ مـلاكاً فـي ثيـاب فتاة
رفيقـة دربـي لا أطيـق فِرَاقَها لها في فـؤادي أرفعُ الدرجات

هؤلاء هن كريمات الشاعر ونجماته الثلاث؛ عبر لهن بشعره عن عواطفه الفياضة نحوهن، معجباً بأخلاقهن، متغزلاً بجمالهن، مفتوناً بأدبهن، وحُقَّ له ذلك فقد ربَّاهُنَّ، وأحسن التربية، ونشَّأَهُنَّ وأحسن التنشئة، وما أحلاهن وهن يلتففن حول والديهما يظلانهما بالود ويطوقانهما بالحنان، حفظهن الله لك يا شاعري، وأدامهن مصدر حبٍّ، وإشعاع سعادة ومسرب هناء وضياء.

وكما امتدت الأسرة من الأصول إلى الفروع؛ فها هي الفروع تصبح أصولاً لتأتي بفروع جديدة، وأغصان طربة، وهم الأحفاد الذين يُقال عنهم ما أعزُّ من ولد الولد إلا الولد، وهم فعلاً الصغار الكبار الذين يزينون الحياة، ويرفدونها بالامتداد والراحة والهدوء، وها هو الشاعر يحتفي بقدوم حفيدته أمل بأبياتٍ جميلة موقعة قائلا:

حَفِيدَتِـي أمـلْ أحلى منَ العَسَل
بهـاءُ وَجْهِهـا كضحكـةِ المقَل
وخفَّـةُ روحهـا كبسـمةِ الأَمَـل

ويذهب في وصفها في ذكائها وحب دروسها وإشراقة إقبالها عليه، وفي حفيده الآخر محمود يقول تحت عنوان (ريحانة الوجود) [الرجز]:

محمـودُ يـا ريحانـة الوجـودِ يـا بهجـةَ الأيـام يـا حَفِيـدِي
أشرقتَ مثلَ الشَّمْسِ في علاها تـلأْلأَتْ بنورهـا الفريـدِ
أفعمتَ لـي جوانحي سـرورَا لا يسـتطيعُ وصفَـهُ قصيـدِي

إلى أن يقول عن إعداده لتحقيق الأمل المرجو منه ومن أمثاله؛ وهو تحرير الوطن وإنقاذ شعبه من التشرد:

إنا لنرجو أن تكون يومَا ... قرَّةَ عينِ شعبِك الشَّريدِ
تُسْهِمُ في بناء ما تَداعَى ... في عصرنا من مجدِنا التليدِ
ويرجِعُ الأقصى لنا نظيفاً ... مُطَهَّراً من دنسِ اليهودِ

ومن هذا وذاك الكثير الذي لا يسمح لي الوقت بقراءته والاستمتاع به مما يتعلق بأفراد الأسرة الكريمة في أصولها وفروعها.

وما كنتُ أيها السادة لأنسى، وأنا أتحدث عن الأصول والفروع الحديث عن أصول الأصول لوالدي الدكتور رجا، وما كنت لأتحدث عن أصول الأسرة وفروعها، دون أن أتحدث عن أصول الأصول؛ وهما الشجرة الفينانة المثمرة التي امتدت فروعها وغصونها، حتى أتت لنا بالدكتور رجا وأولاده وأحفاده، الذين لم يتوانوا عن شعر ولدهما راثياً لهما، باكياً عليهما، في قصيدتين لا بدَّ من ذكرهما باختصارٍ مستئذناً مَنْ سيتكلم عن الرثاءِ في شعر الدكتور أن يَسْمَحَ لي بذلك؛ لأنهما متصلان بالأسرة، ويكملان حلقة الحديث عنها.

فللشاعر قصيدةٌ في والده رثاه بها، وقد توفاه الله دون أن يراه، أو يودِّعَهُ الوداع الأخير مما زاده ألما وحرقة على فراقه، فكانت بكائيته التالية؛ والتي أجتزئُ منها أبياتاً قليلة؛ مكتفياً بمطلعها الذي يقول فيه:

سيدي الوالِدَ مهلاً لا تَلُمْنِي
إن أنا أبطأتُ في التعبيرِ عن حزني عليكَ
عَقَلَ الرزْءُ لساني
أشعلَ النارَ بأعماق جناني
ليتني يا والِدِي عند احتضارِك
كنت أحنو خاشعاً بين يديك
كي أرى كيف يموتُ الكبرياء
كيف يَغْتالُ الرَّدَى روحَ الشهامة

كيف يُقْضَى الجودُ والنخوةُ والحبُّ الكبير
كيف ينهارُ البطلْ.. قبل إشراقٍ وتحقيقِ الأمل

ويستمر الشاعر في بكائيته الفريدة هذه؛ مذكراً ببطولاته الجهادية ودفاعه عن وطنه، وتضحياته في سبيله، وهي قصيدة حافلة بالمعاني والعبارات الجزلة، والصور البلاغية البعيدة والقريبة والألفاظ الموحية المناسبة للغرض والموقف.

وبنفس الموجة الحزينة يتذكر والدته في قصيدةٍ تحت عنوان (أمي) يبين فيها حاله، وهو يتذكرها تضيء له طريق الحياة، وتملؤ نفسه بالأمل فيقوى ويشتد، فيقول [من المتقارب]:

إذا ما ادلهَمَّتْ عليَّ الخطوبُ ... وغمَّت أمامي جميعُ الدُّرُوب
ولم ألقَ في وَحْشَتِي مُؤْنِساً ... يُبَدِّدُ عني جيوشَ الكُرُوب
وغاصَ فؤادي في لجَّةٍ ... من الهمِّ سوداءَ مثلِ الظلام
وجفَّت ينابيع آمالِه ... وضوَّع زهر الأماني العِظَام
ذكرتُك يا أمُّ في محنتي ... لأُحْيِي بذكراكِ نوراً أفل
فينسابُ عني ضبابُ الحياة ... ويحيا بنفسِي شعاعُ الأمل
فلا أنثني دون نيلِ المرام ... ولو كان في نيلهِ حَتْفِيَهْ
فأنت التي كنت علمتني ... بألاّ أعودَ بلا نُجحْيَه

وهكذا أيها الإخوة نقف عندما قلناه وكنت أتمنى لو أنني انفردت بالحديث، لأمكنني قول الكثير والكثير، ولكني أترك فرصة الحديث عن شاعرنا لزملاء آخرين محبين له كحبي له، وما قلته أنا فيه هو شعاعٌ ضئيل خلال خطوط كبيرة وغزيرة على قامة كبيرة.

هكذا أيها السادة قدمتُ شاعرنا في شعره الأسري الممزوج بالمدح والغزل والهناء والفرح والحزن، في شعره ذي الملامح العامة التي ترين عليه وتشبع فيه، ويتسم به فهو شاعر قادرٌ جميل الخص تتلخَّصُ ملامحه وخصائصه فيما يلي:

ـ براعة مطالعه واستهلال قصائده؛ وهذا الأمر الذي يشدُّ القارئ من البداية إلى النهاية.

ـ انتقاء الألفاظ ذات الدلالات الموحية بالمعاني الفضفاضة والظلال الفسيحة.

ـ شيوع الصور الجميلة المفردة والمركبة دون تكلُّفٍ أو تقييد.

ـ الترابط بين أفكار القصيدة الواحدة في خدمة الفكرة المحورية المنشودة.

ـ حرص الشاعر في خواتيم القصائد ونهاياتها على توجيه الأبناء والأحفاد إلى تذكيرهم بالوطن، وصرف الجهود المخلصة الخاصة لخدمة قضيته؛ مما يدل على الروح الوطنية لدى الشاعر، واحترامه على توظيفها في أبنائه وذريته حتى تظل سارية في عقبه، هذا هو الدكتور رجا قدمناه شاعر أسرة بامتياز.

وهذا هو الدكتور رجا شاعر فلسطين والوطن العربي قدمناه ملخصاً على غير ما نحب، وهو الذي ملأ سماءنا غناءً ومرحاً ونشيداً.

ونحن الآن نكرمه بكلمات يستحقها منذ أن كان، ونحن نعرف أنه يستحق ذلك، ولكن هل يقف التكريم عند هذا الحد؟ لا: إن الكلمات آلةٌ من آلات التكريم وليست هي التكريم كله، كنا نود أن نرى في تكريمه أو تكريم غيره بأن نختار:

ـ شارعاً أو طريقاً أو حارة أو مؤسسة ثقافية أو قاعة من القاعات الأدبية المنتشرة في البلاد تحمل اسمه، وتذكر به؛ وهذا أمرٌ سهل على الرابطة، أو الجهات الثقافية المسؤولة أن تتولاه له ولكل الأدباء المرموقين بالاتفاق مع أمانة العاصمة التي ترحب بذلك، وتريحها من اقتراح أسماء الشوارع، وتمدنا بأسماء غير معروفة أحياناً، وربما لا يكون لهذه الأسماء درجة من درجات الاستحقاق.

ـ أو دعوة المكرَّم إلى المشاركة في الأسباب الشعرية التي تقيمها الرابطة دون احتكارٍ لها وقصرها على أسماء تتكرر كثيراً في أحياء هذه الأمسيات.

ـ أو دعوته إلى إلقاء محاضرات ثقافية أو أدبية واجتماعية ودينية.

ـ أو دعوته للمشاركة في مناظرات أو حوارات فكرية يكون فيها محدثاً ومتناظراً.

ـ أو اختياره ليكون ممثلاً للرابطة أو للأدباء الأردنيين في مؤتمرات أدبية تُقام، أو ترفع أمامها، أو دعوة الباحثين وطلبة الجامعات الذين يستعينون بالرابطة إلى اختيار المكرَّم؛ ليكون محلا للدراسة وتقديم الأطروحات.

ـ أو ترشيحه لجوائز الآداب التي تُطْرَحُ في بلادنا، أو غيرها ليكون أحدَ مستحقيها.

أمورٌ كثيرة أيها السادة من الممكن أن يتمَّ بها التكريم لو أردنا ذلك، وأرجو أن نزيد، فالساحة الأدبية مليئةٌ بأدباء كبار يشرفنا تقديمهم بالشكل اللائق بهم.

أعتذر عن الإطالة، وشكراً لكم على الاستماع مع تجديد شكري الجزيل وامتناني للرابطة؛ ممثلةً في رئيسها وأعضائها والعاملين على تنظيم هذا الحفل، وعلى هذه اللفتة الطيبة في تكريم الأدباء، والدعاء كل الدعاء للشاعر الكبير الأخ رجا سمرين في أن يوفِّقَهُ الله، ويطيل في عمره، وأن يظل شعره روضةً فينانَةً تنشر العطر والطيب والشذا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

هذا الكتاب

مجموعة بحوث إسلامية وأدبية ولغوية وتربوية، في موضوعات شتى، كتبها العالم اللغوي النحُوي الأديب الدكتور «محمد سمير» نجيب اللبدي حفَظه الله، عبر سنوات حياته العلمية والتعليمية، ونشرها في صحف ومجلّات أدبية، محكَّمة وغير محكَّمة. تتميز هذه البحوث والمقالات بلغتها السلسة، وتنوّعها الماتع، وأفكارها العميقة، وهي حصيلة قيّمة جمعها هذا السِّفْر، ليحفظ جُهدَ مؤلفها ويُتيحه للباحثين وعموم القرّاء من عشّاق العربية. ومن البحوث التي حفل بها هذا الكتاب:

- أثر القرآن الكريم في حياة العرب ومجتمعاتهم.
- اللغات بين النشأة والتعدد.
- كثرة التخطئة اللغوية وأثرها في الحد من نمو اللغة.
- العدد بين الحساب واللغة.
- إبراهيم طوقان.. شاعر فلسطين وغريدها.
- نزار قباني.. مدرسة أم ظاهرة؟
- في النحو أقوال رائعة لا أخطاء شائعة.
- المناظرات اللغوية بين علمية الحوار وأدب التحاور.

وغيرها من المقالات المهمة التي نرجو أن يجد فيها القرّاء مراحًا أدبيًّا رحبًا، وزادًا ثقافيًا خصبًا.

أروقة للدراسات والنشر
هاتف وفاكس: ٤٦٤٦١٦٣ (٠٠٩٦٢٦)
ص.ب: ١٩١٦٣ عمّان ١١١٩٦ الأردن
البريد الإلكتروني: info@arwiqa.net
الموقع الإلكتروني: www.arwiqa.net

9 789923 100189